الشهيد الذى أطعمه اللّه

عبد العزيز الشناوى

رســـوم

عبد الرحمن بكر

مكتبة جزيرة الورد

تقاطع شارع الهادى وعبد السلام عارف

ت/ ٣٥٧٨٨٢

مكتبة جزيرة الورد
تقاطع ش عبد السلام عارف مع ش الهادى
ت: ٢٢٥٧٨٨٢/٠٥٠

وفد الغدر والخيانة:

عقب صلاة العشاء، وبعد أن عدنا من المسجد، جلسنا حول جدى الذى تساءل:

- أتعرفون يا أحفادى عمن سنتحدث الليلة؟

قلت:

- عن الشهيد الذى أطعمه الله

هتف جدى:

- نعم.. بارك الله فيكم

فتساءل محمد:

- ما معنى كلمة شهيد؟

قال الجد:

- الشهيد هو الذى قتل فى سبيل الله، والذى أشترى الله عز وجل نفسه وماله وأعطاه مقابل ذلك الجنة "إِنّ اللّهَ اشْتَرَىَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنّ لَهُمُ الّجَنّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىَ بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" سورة التوبة الآية ١١١

قالت شيماء:

- لا أحد أوفى بعهده من الله عز وجل فقد ضمن الوفاء بالوعد من عهد موسى عليه السلام فأنزل عليه التوراة، وكذلك فى عهد عيسى عليه السلام وأنزل عليه الإنجيل، ثم

هى بعد ذلك عامة فى كل مجاهد فى سبيل الله من أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة.

قال الجد:

ـ أصلح الله حالكم يا أحفادى

فقال محمد:

ـ ما اسم الشهيد الذى أطعمه الله؟

قال جدى:

ـ لا تتعجل الأمور يا محمد فسوف تعرفه الآن

ذات يوم عقب غزوة أحد قدم مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد من قبيلتى عضل والقارة فقالوا:

ـ يارسول الله: إن فينا إسلاماً وخيراً، فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهونا فى الدين، ويقرئونا القرآن، ويعلمونا شرائع الإسلام.

فبعث المبعوث للناس كافة صلى الله عليه وسلم ستة من أصحابه وهم:

مرثد بن أبى مرثد وقد جعله عليه الصلاة والسلام أميرهم

عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح

خالد بن البكير

خبيب بن عدى

زيد بن الدثنة

عبدالله بن طارق.



وخرج وفد القراء مع وفد المشركين، فلما وصلوا الرجيع وهو ماء لقبيلة هذيل غدروا بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا:

- يا معشر هذيل: الغوث.. الغوث..

فأقبل رجال من هذيل من كل جانب ومعهم السيوف والحراب والقسى والنبل فأحاطوا بوفد القراء..

فقال وفد عضل والقارة لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم:

- إنا والله ما نريد قتلكم، ولكننا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه لا نقتلكم.

قال محمد:

- ماذا يعنون بقولهم: ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة؟

قال الجد:

- يعنون أنهم يريدون بيعهم لأهل مكة كعبيد يفعلون بهم ما يشاءون

فقلت من بين أسنانى:

- ياللخسة والغدر والخيانة

فقال الجد:

ولما أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن وفد عضل والقارة قد دبروا تلك المؤامرة الدنيئة التى نسجوا خيوطها فاستعملوا سلاح الغدر والخيانة آمنين الانتقام ظانين ضعف المسلمين عن مقاومتهم بعد ما أصابهم يوم أحد، فقرروا فى إباء وعزة وشرف أن لا يستسلموا للمشركين، ورفضوا أن يكونوا متاعاً سهلاً رخيصاً فقالوا:

- والله لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً

وانطلق وفد القراء يقاتلون وفد الغدر والخيانة

اللهم إنى حميت دينك أول النهار فاحم لحمى آخره

وجعل مرثد بن أبى مرثد يقاتل المشركين وهو يقول:

- ملاقاة ربى خير من تسليم نفسى إلى ثلة الغدر.

وشرع رماة هذيل يرمون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنبل فأصيب مرثد بن أبى مرثد وخالد بن البكير.

أما عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح فظل يقاتل المشركين وكان فارساً مقداماً وبطلاً مغواراً ورامياً ماهراً فلم يخطىء، وراح يقاتل حتى فنى آخر سهامه ثم قال:

- اللهم إنى حميت دينك أول النهار فاحم لحمى آخره

اللهم إنى أعطيتك عهداً ألا يمسنى مشرك ولا أمس مشركاً أبداً.

ثم عاد يقاتل فقتل رجلاً وجرح رجلين وهو يقول:

ما على وأنا جلد نابل والقوس فيها وتر عنابل

إن لم أقاتلهم فأمى هابل الموت حق والحياة باطل

وكل ما حم الإله نازل بأمره والمرء إليه أثل

وتكاثر المشركون على عاصم وكما تعلمون أن الكثرة تغلب الشجاعة.. فقتلوه وحين قتل قال بعض وفد عضل والقارة:

- هذا الذى حلفت فيه سلافة بنت سعد المرأة المكية - من مكة - ونذرت أن تشرب فى قحفه - القحف: العظم الذى فوق الدماغ وتعنى الجمجمة - فهلم لنقطع رأسه لعلنا نفوز منها بمائة من الإبل.

المعجزة:

لما اقترب وفد عضل والقارة من جسد الصحابى الجليل عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح ليقطعوا رأسه ويحملوها إلى مكة لتشرب سلافة بنت سعد الخمر فى قحفه.

قلت:

- لماذا قالت سلافة بنت سعد: من جاء برأس عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح فله مائة من الإبل؟

قال جدى:

- يوم بدر عندما التقى جيش المسلمين وجيش المشركين خرج مسافح بن طلحة بن أبى طلحة يحمل لواء المشركين، وطلب المبارزة فرماه عاصم بن ثابت بسهم فأرداه قتيلاً، فحمل إلى أمه سلافة بنت سعد التى سألت:

- من أصابه؟

قالوا:

- سمعنا رجلاً حين رماه يقول: خذها وأنا ابن أبى الأفلح

فقالت سلافة بنت سعد من بين أسنانها:

ـ أفلحى والله وهو من رهطى ـ كانت سلافة من الأوس وكان عاصم بن ثابت منهم ـ ثم حمل لواء قريش أخو مسافح وهو الحرث بن أبى طلحة فلم يكد يكمل النداء للمبارزة حتى رماه عاصم بن ثابت بسهم فقتله، فحمل إلى أمه سلافة بنت سعد فقالت فى فزع:

ـ من أصابه؟

فقالوا:

ـ سمعنا رجلاً يقول : خذها وأنا أبن أبى الأفلح

فملأ الغيظ قلب سلافة ونذرت إن أمكنها الله من رأس عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح قاتل ابنيها: مسافح والحرث أن تشرب فيه الخمر ثم قامت تنادى فى المشركين:

من جاء برأس عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح فله مائة ناقة

قالت شيماء:

ـ وهل أخذ وفد الخيانة رأس عاصم بن ثابت إلى مكة وقدموها إلى سلافة بنت سعد؟

قال الجد:

ـ بعد مقتل عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح تقدم وفد عضل والقارة ليقطعوا رأسه، ولكن عندما أقتربوا منه وقبل أن تمتد سيوفهم نحو عنقه، تراجعوا مذعورين يلوحون بأيديهم وكأنهم يصارعون أشباحاً غير مرئية، لقد بعث العزيز الحكيم الدبر ـ النحل ـ فحال بينهم وبين جسد عاصم بن ثابت الذى دعاه مخلصاً واثقاً مؤمناً: اللهم إنى أعطيتك عهداً ألا يمسنى مشرك.

قال محمد:

ـ ماذا فعل وفد الغدر والخيانة عندئذ؟

قال الجد:

ـ قالوا: دعوه الآن ولنأتى إليه ليلاً لعل النحل يذهب عنه

ولما غربت الشمس رجعوا إليه، ولكن كانت هناك معجزة أخرى.. لقد بعث العليم الخبير سيلاً فاحتمل جسد عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح إلى مكان لا يعلمه إلا علام الغيوب.

فلم تمس يد مشرك جسد الصحابى الجليل عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح

قلـت:

ـ هذا كان شأن: مرثد بن أبى مرثد، وخالد بن البكير، وعاصم بن ثابت، فماذا عن: خبيب بن عدى، وزيد بن الدثنة، وعبدالله بن طارق؟

قال الجد:

أسر وفد الغدر والخيانة خبيب بن عدى، وزيد بن الدثنة، وعبدالله بن طارق، وفى الطريق إلى مكة انتزع عبدالله بن طارق يده من قيده ولما هم بالفرار رموه بالحجارة فمات.

فى مكـــة

وقف وفد عضل والقارة بجوار الحرم فنادى أحدهم بأعلى صوته:

ـ يا معشر قريش: هذان أسيران من أصحاب محمد، فهذا خبيب بن عدى، وهذا زيد بن الدثنة، فمن كان له ثأر من أهل مكة فليتقدم ويشترى، فإنا نريد أن نفدى أسيرين من هذيل هنا بمكة.

فقال حجر بن إهاب وصفوان بن أمية:

ـ إنا نشترى خبيباً

وقال عبيدة بن حكيم وأمية بن عتبة:

- إنا نشترى زيداً

خبيب بن عدى فى المحبس

حبس حجير بن إهاب خبيب بن عدى فى بيت ابنته ماوية حتى تنقضى الأشهر الحرم، وكانت ماوية تطلع على خبيب من صبر الباب فتراه وهو يصلى.

قالت شيماء:

- لما حبسه إهاب بن حجير وانتظر حتى تنقضى الأشهر الحرم؟

قال جدى:

- كانت فى الجاهلية أربعة أشهر حرم هى: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب وكان العرب يحرمون فيها القتال والقتل وقد ذكر الله عز وجل فى كتابه "إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ" سورة التوبة الآية : ٣٦

فقال محمد:

- وما معنى تطلع على خبيب من صبر الباب؟

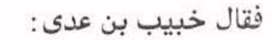
قلت:

- تنظر إليه من شق الباب

فهز الجد رأسه وقال:

وذات يوم رأت ماوية خبيب بن عدى وهو يصلى فسألته:

- أين الإله الذى تسجد له؟ لم أر اللات ولا العزى ولا هبل ولا..



فقال خبيب بن عدى:

- إنى أسجد لله الواحد الأحد، لا أسجد لأصنام لا تضر ولا تنفع

قالت ماوية:

- كيف تعبد إلهاً واحداً وإنا نعبد هبل واللات والعزى وإساف ومناة و..؟

قال خبيب بن عدى:

"أَأَرْبَــابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۞ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْــمَآءً سَــمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ" سورة يوسف الآيتان: ٣٩، ٤٠.

وذات يوم نظرت ماوية من شق الباب فرأت عجباً فصاحت بأعلى صوتها:

- يا معشر قريش: يا معشر قريش: تعالوا وأبصروا سترون عجباً.

أقبل رجال من قريش وتساءلوا:

- ما وراءك يا ماوية؟

قالت ماوية وهى تشير من شق الباب:

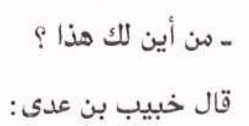
- انظروا..

ووقف أشراف قريش مدهوشين لا يصدقون أعينهم، وعادوا ينظرون.. إن خبيب بن عدى كان يأكل قطفاً من عنب مثل رأس الجمل.

فقال صخر بن حرب وحويطب بن عبد العزى وضرار بن الخطاب:

- ما نعلم فى الأرض من عنب الآن يؤكل

ثم سألوا خبيب بن عدى:



- من أين لك هذا ؟

قال خبيب بن عدى:

- إنه رزق آتانى من عند الرزاق العليم

قالوا:

- إنـا لم نسمع من قبل أن الرزاق العليم الذى تعبده أيها الصابىء قدر رزق أحداً من قبل.

قال محمد:

- ما معنى أيها الصابىء؟

قلت:

- كانوا يسمون من أسلم صابئاً أى غير دينه

فهز الجد رأسه واستطرد قائلاً:

قال خبيب بن عدى: لقد رزق الرزاق العليم من قبل مريم بنت عمران "كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَمَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ" سورة آل عمران الآية : ٣٧

قالوا:

- دعك من شعر محمد، فلو كفرت بمحمد وربه سنطلق سراحك

قال خبيب بن عدى:

- "إِنَّمَا هَـٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَـرَارِ"

سورة غافر الآية: ٣٩



قال أبو سفيان بن حرب:

- لقد أسدينا إليك النصيحة وسوف نرسلك إلى التنعيم لتصلب فقد أوشكت الأشهر الحرم على الانتهاء ماذا قلت؟

قال خبيب بن عدى:

"وَأُفَوّضُ أَمْرِيَ إِلَى اللّه إِنّ اللّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ" سورة غافر الآية: ٤٤

ولما غادر سادات قريش محبس خبيب نطقت ماوية بشهادة الحق فقالت:

- أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم

فلما سمع خبيب بن عدى ماوية تنطق بشهادة الحق انطلقت أغاريد نفسه ونسى الموت الذى كان ينتظره.

أول من سن ركعتين عند القتل نافلة

حمل سادات قريش خبيب بن عدى إلى التنعيم ليصلبوه

قال محمد:

- ما معنى التنعيم يا جدى؟

قال الجد:

- مكان على بعد نحو ثلاثة كيلومترات من مكة، الآن من يريد أن يحرم لأداء عمرة يخرج من مكة إلى التنعيم فيحرم ثم يعود إلى مكة ليؤدى مناسك العمرة

فقال خبيب بن عدى:

- إن رأيتم أن تدعونى حتى أركع ركعتين فأفعلوا

فقال أبو سفيان بن حرب:

- دونك فصل ركعتين

قال الجد:

- فكان خبيب بن عدى أول من صلى ركعتين عند القتل نافلة

عاد محمد يتساءل:

- ما معنى نافلة ؟

قال جدى:

- كرامة

ثم استطرد قائلاً:

- وأقبل خبيب بن عدى على أشراف قريش فقال لهم:

أما والله لو لا تظنون أن بى جزع من القتل لأستكثرت من الصلاة..

فرفعوه إلى جذع نخلة وربطوه، وحاول خبيب بن عدى أن يستقبل القبلة فأداروا وجهه عنها فقال:

ولست أبالى حين أقتل مسلماً على أى جنب كان فى الله مصرعى

فاقترب أبو سفيان بن حرب منه وسأله:

- أنشدك الله يا خبيب: أتحب أن محمداً مكانك الآن تضرب عنقه وأنت سليم معافى فى أهلك؟

فانتفض خبيب بن عدى وكأن عقرباً لدغته وقال فى إنفعال صادق:

- والله ما أحب أنى فى أهلى وولدى ومعى عافية الدنيا ونعيمها ويصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشوكة.

فضرب أبو سفيان كفاً بكف وقال لمن حوله من سادات قريش:

ـ أسمعتم ما قال؟ واللات والعزى ما رأيت أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً، كنا ننزل بهم أشد العذاب فيزيدون ولا ينقصون.

ثم أمر سادات قريش رجلاً فرمى خبيب بن عدى برمح فقتله فصعدت روحه الطاهرة إلى عليين

بليع الأرض:

أخبر جبريل عليه السلام خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم بمقتل خبيب بن عدى، فبعث نبى الرحمة صلى الله عليه وسلم الصحابيين الجليلين: الزبير بن العوام، المقداد بن عمرو إلى التنعيم لإنزال خبيب من خشبته، فانطلقا إلى التنعيم فوجدا حوله أربعين رجلاً سكارى، فأنزلاه وحمله الزبير بن العوام على فرسه وكان مازال رطباً لم يتغير منه شيء.

وأحس المشركون بصاحبى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانطلقوا وراءهما، فلما اقتربوا من الزبير بن العوام والمقداد قذف الزبير خبيب من فوق فرسه، فابتلعته الأرض، فلم يُعرف حتى الآن أين قبر الشهيد الذى أطعمه الله فى محبسه، وأول من سن ركعتين قبل القتل نافلة؟